

الخميس 24-01-2008

146- نجيب محفوظ: قراءة في أحلام فترة النقااة

الحلم (27)

في سفينة عابرة للمحيط أجناس من كل لون ولغات شتى. وكنا نتوقع هبوب ريح وهبت الريح واختفى الأفق خلف الأمواج الغاضبة إنى ذعرت ولكن أحدا لم يكن يعنى بأحد. وقال لى خاطر إننى وحيد فى أعماق المحيط. وأنه لا نجاة من الهول المحيط إلا بأن يكون الأمر كابوسا وينقشع بيقظة دافئة بالسرور. والريح تشد والسفينة كرة تتقاذفها الأمواج. وظهر أمامى فجأة همزه أفندى مدرس الحساب مجرزانته وحدجنى بنظرة متسائلة عن الواجب. كان الإهمال الواحد بعشرة خيوانات تكوى الأصابع كيا. وازددت كرهما من ذكريات تلك الأيام. (وقال لى الرجل سوف تكتب) وهممت بدق عنقه ولكنى خفت أن يكون أى خطأ سببا فى هلاكى فسكت على الذل وتجرعت رغم جفاف ريقى. ورأيت حبيبتى فهرعت نحوها أشق طريقا بين عشرات المذولين. ولكنها لم تعرفنى وتولت عنى وهى تلعن ساخطة وجرت نحو حافة السفينة ورمت بنفسها فى العاصفة واعتقدت أنها تبين لى طريق الخلاص فجريت متعثرا نحو حافة السفينة ولكن مدرس الحساب القديم اعترض سبيلى ملوحا بعصاه.

القراءة

المكان الحركة، الحركة المكان، السفينة عابرة للمحيط هنا تجمع بين هذا وذاك، لم يصلنى أنها سفينة نوح المعاصرة برغم أنها تحمل أجناسا من لون ولغات شتى، ربما هى أرضنا البائسة وسط الكون المضطرب، أو لعلاها الحياة كما آلت إليه أخيرا، حيث لا يعنى أحد بآخر، فهى الوحدة من جديد (وقال لى خاطر أننى وحيد فى أعماق المحيط).

المكان هنا يسمح بالتجمع والتجمهر والانتقال منها، لكنه محاط بالمحيط، فلا مجال للهروب إلى المنزل مع الأمل فى الأمان، أو المفاجأة بالوحشة، أو غير ذلك مما سبق أن لاحظناه، كما أنه ليس ثم مهربا إلى الهواء الطلق قبل انهيار البيت الصغير (نهاية الحلمين 25، 26).

وكما بدأ حلم "25" بتوقع قصر عمر السعادة، يبدأ هذا

الحلم بتوقع العاصفة، "وكنا نتوقع هبوب الريح، وهبت الريح" (لاحظ اختفاء أى برهة زمنية بين التوقع والواقع).

كما أشرنا: مع أن السفينة بها أجناس من كل لون ولغات شتى، إلا أن الراوى يشعر بالوحدة " وقال لى خاطر أنى وحيد"،

بدا لى أن هذا الخاطر بالشعور بالوحدة، هو الذى انتقل بالسفينة فجأة إلى أعماق المحيط. فتمنى صاحبنا بأن يكون هذا الذى يعيشه كابوسا.

بدأت لى هذه الأمنية - كالعادة - وكأنها جذب العودة إلى الرحم الخاف هربا من احتمال الغرق فى المحيط الهادر على السطح، إنها أمنية نكوصية واضحة تتكرر حتى الآن. ثم إننا لو أحسنا قراءة تعبير "يقظة دافئة بالسرور" هنا للاحظنا أنه تعبير نادر. اليقظة عادة تكون نقلة من الدفء إلى النشاط، من سكينه النوم إلى دفع الحركة، لكن هذا التعبير الذى يصف اليقظة هنا بأنها "دافئة بالسرور" لم يحضر إلى قراءة إلا خدر الإحاطة بالسائل الأمنيتوى داخل الرحم والجنين مازال "يلبظ" فى الداخل بعيدا عن العواصف والأنواء.

لم يدم هذا الخاطر الهروبى طويلا وحل محله واقع بارد قاس بظهور حمزة أفندى معلم الحساب، وهو لا يقارن - إلا من حيث الحركة - بظهور معلم البيانو فى حلم "25".

المعلم هنا من نوع آخر "مدرس حساب قديم". يجيزرأنته العمياء، هذا المدرس لا يسأل أو يتساءل عن: "معنى الوقت" مثل أستاذ البيانو (حلم 25)، وهو لا يدعو فى حزم إلى تدريب على مهارة (البيانو). هو مدرس جاف لا يتكلم إلا بلغة الواجب، وهو جاهز فى مواجهة أى إهمال، وليس عنده إلا الخيزرانة لا أكثر ولا أقل، فكانت استجابة الراوى هى الرغبة فى قتله. وحين تبين عجزه، استشعر الذل وابتلعه وهو خائف من أن يضبطوه متلبسا بالشروع فى القتل، ثم إن الوعى بخاطر القتل هكذا، جعله يرتد إلى ذاته، فهو الخوف من الهلاك.

مازلنا فى السفينة، ومازالت العاصفة تحيط بها، فهى قد طفت إلى السطح، وظهر معلم الحساب (الأب القاهر الجاف) كان بصيغة إجبارية "سوف تكتب"، وهى أقسى من صيغة الأمر، كأنه أمر مفروغ منه، لو أنه أمره أن يكتب، "أكتب" إذن لكان ثم اختيار، أما هكذا "سوف تكتب" فهى صيغة أكثر سحقا، والرد على مثل هذا القهر هو القتل، قتل الوالد أمر طبيعى (ديستويفسكى: كارامازوف ومن منا لم يفكر فى قتل والده؟)، لكن لايد من ضمان أن القتل سيتم مائة فى المائة، أما إذا كان فى الأمر احتمال فشل القتل ولو 1% فهو الهلاك، أما الرجوع عن القتل فهو الذل والقهر، (وازدادت كرها من ذكريات تلك الأيام)

الأرجح أن الخبيبة التى ظهرت هنا هى من نسج خيال الراوى، وهى لا تعرفه أصلا. هو الذى جشدها، ثم راح يشق

طريقه إليها، الأخطر أنها تولّت وهي تلعن ساخطة، نتذكر الرفض الذي عاناه صاحبنا في حلم "15" يومية 2007-12-13 كان رفضاً غامضاً من أكثر من واحدة (زميلة) حقيقية (على أرض، - مكتب - الواقع)، الرفض هنا يبدو أقسى حتى لو كانت الحبيبة من صنع الخيال، ذلك لأنها: **أولاً** لم تتعرف عليه أصلاً، لقد أنكرته ابتداءً، **وثانياً**: لأن هربها كان نافراً في المجهول بلا وعد، هي هنا فضلت الموت عن أن تكون له أو معه، فليكن هذا هو خلاصه، فمن ناحية: بما أنه يلحقها هنا (وهي حتى لم تقبله أصلاً) فلعله يلقاها هناك، ومن ناحية أخرى! فهو الخلاص من الذل والقهر.

الفتاة تولت وهي تلعن ساخطة (لم يقل تلعن من)، ثم إنها اختفت وهو يشق طريقه بين الذاهلين، ذاهلين من ماذا؟، عن ماذا؟ عن آلت إليه حال الفرقة بين الناس "أحد لم يكن يعني بأحد"؟

وهكذا رمت الفتاة نفسها في العاصفة (لم يقل في المحيط)، فكاد يتبعها وهو يتصور أنها بفعلتها تلك إنما تشير إليه أن هذا هو الحل: الخلاص بإفناء الذات.

الذي منعه من تنفيذ هذا الحل الانتحاري الغامض كان هو مدرس الحساب، الذي نلاحظ هنا أيضاً أنه كان ثنائى الدور والدلالة، فمن ناحية هو أنقذ حياته، لكنه في نفس الوقت هو الذى حال دونه وحبيبته،

ثمّ تساؤل آخر يقول:

هل السلطة التي تفرض وتقهّر، هي هي السلطة التي تحول دون نزوات الخيال وأوهام الخلاص بالعدم؟.

يجوز.

الحلم (28)

تتحلق المستديرة والنقود تذهب وتجنّى أما الفتاة فكانت تقوم بالخدمة وتقديم المشروبات وأحياناً السندوتشات. وابتسم لي الحظ فريحت عدداً من الجنيهاً يعد كبيراً في مجالنا المحدود وشعرت بدوار خفيف فأعلنت أنني سأنسحب، وعلى أن أحداً لم يصدق عذري إلا أنني انسحبت وعند ذلك اتهم أحد اللاعبين الفتاة بأنها كانت تكشف لي خفية عن بعض أوراق اللعب فغضبت الفتاة كما غضبت أنا احتجاجاً على التهمة البطالة وقام الرجل ومعه أقران ونزعوا ثياب الفتاة حتى تبدت عارية وهي تصرخ وتهدد بإبلاغ الشرطة عن الشقة التي تدار للمقامرة وغيرها من المحرمات فسرعان ما عاد كل إلى مجلسه وساعدت الفتاة على ارتداء ملابسها وغادرت المكان إلى مسكني القريب.

وجلست أستريح فإذا بالفتاة تحضر وأخبرتني أن المجموعة غاضبة وزادها السكر غضباً وتهدد باقتحام مسكني وإشعال فضيحة في الحى كله ونصحتني أن أرد ما رجته حلاً للمشكلة ولكني قلت لها أنهم سيعتبرون ذلك اعترافاً مجرمة لم نرتكبها، فقالت

إن ذلك أهون مما يعتزمون ارتكابه وأذعنت لرأيها وسلمتها النقود وذهبت بها.

وعاد الهدوء لليل ولكن لم أزل أتوقع فضيحة أو شرا من ذلك.

القراءة

ظهور "الفتاة" (أية فتاة) أو حضورها يتكرر في الأحلام حتى الآن بتنويعات مختلفة، يمكن أن نجمعها لاحقاً للمقارنة في الدراسة الطولية، مثلاً الفتاة هنا أشبه بالوسيط أو الشريك في شيء ما، وهي غير الفتيات اللاتي ظهرن حتى الآن (حلم 2، كان الراوى يتبع الفتاة ثم انتمى وهو يبحث عنها، وحلم 7 حين سار في أثر فتاة الترام "3"، وكانت الفتاة هي أخته وأشياء أخرى في حلم 9، وهي غير صاحبه في الحجره في حلم 10، وأيضاً ليست مثل بنت ربا في حلم 13، أما هي فهي هنا معه وهو معها دون علاقة خاصة، فلا يلوح في الأفق أى رفض له مثلما حدث مع فتاتى حلم 15، وهي غير الفتاة الريان حلم 18، وغير فتاة القمر والقارب حلم 20، وغير فتاة الوعد والشروط حلم 25، هي فتاة تظهر في الصورة بذاتها، تشاركه سحق القهر، واستسلام الذل، لا أكثر.

إنكار ضربة الخط إلا لأحد أفراد الثلة الخاصة هو مبدأ يرتبط بتحيز الثللية الذى يلفظ الدخيل ويرفض حتى عدل الأقدار، غير مسموح لغريب عن الثلة بالنقص والهرب بالغنيمة حتى لو التزم القواعد الظاهرة، الفتاة هنا شريكة في شهادة العدل، وهذه جريمة في ذاتها بقانون الثللية، فهي تستحق عليها العقاب.

عودة الراوى إلى المنزل هنا لم تكن هرباً أو طلباً للأمان كما لاحظنا في الأحلام حتى الآن، وإنما هي حق مشروع لمن يكسب ويريد أن يتوقف وأن يحتفظ بما كسب، لكنها جريمة في عرف الثلة.

ماذا لم ينتقصوا عليه هو دونها؟

هل كانوا يتشطرون على الأضعف الذى يحتذى بقانون اللعبة، أما هي فهي ليست إلا خادمة أو ساعية؟

الهرب هنا والندالة تراجعاً يؤيد التهمة ولا ينفيها، لذلك هو لم يتراجع أو يستدل، فهي الشهامة كما تبدو لأول وهلة.

سكرت المجموعة، وتهيجت وهددت، هو يعلم أن التراجع والانصياع إلى الابتزاز بأن يُرجع النقود ليس إلا سلبية جديدة وهزيمية تلغى كل ما همُّ به، أو بدا منه، من شهامة سابقة، حين كان يساعد الفتاة و يحاول أن يسترها أو يحميها،

ومع ذلك، فإن هذه المقاومة والدفاع عن السمعة (لا الكرامة) سرعان ما تراجعَت هي الأخرى فانهزم وسلم النقود.

هل هي دعوة إلى الهزيمة؟

بل هي تعرية للهزيمة؟
إن من يتنازل عن حقه، وعن شهامته، لن يتمتع إلا بهدوء
كاذب، وسوف يظل مهدداً بفضيحة ما،
والأرجح أن يكون التهديد من داخله،
لأنه تنازل.

The Man & Evolution FORUM Web Site

<http://fr.groups.yahoo.com/group/TheManAndEvolutionForum/>

Forum Subscription

TheManAndEvolutionForum-subscribe@yahogroupes.fr

Mail To Forum Participate

TheManAndEvolution-FORUM@arabpsynet.com

FORUM INVITATION

www.arabpsynet.com/Rakhawy/MaEForumInvitation.pdf